الصيد البرّي في الذهنية الرومانية من خلال المصادر الأدبية والأثرية

Wild hunting in the Roman mentality through literary and archaeological sources

ط.د/ زرارقة محمّد نزيم*

mohamednazim.zerarka@univ-alger2.dz

مخبر البناء الحضاري بالمغرب الأوسط-جامعة الجزائر2

أ.د/ عمروس فريدة

farida.amrous@univ-alger2.dz

معهد الأثار – جامعة الجزائر 2

تاريخ الاستلام: 2023/02/02 تاريخ القبول 2023/04/14 تاريخ النشر 2023/05/14

ملخص:

تباينت النشاطات الحرفية والمهنية لدى المجتمعات الرومانية بين متطلّبات العيش ونمط الاستقرار، لتلبية الحاجيات الأساسية للأسر والمجتمع من جهة، وتطوّر ورخاء وقوّة الدولة من جهة أخرى. وقد لعب الصيد البرّي دورا محوريا في هذه المسألة، لتوفّر البيئة الطبيعيّة على مؤهلات طوبوغرافية وهيدروغرافية سمحت بتكوين غطاء نباتي متنوّع، استقطب مختلف أنواع الحيوانات البريّة، تمّ اصطيادها بأساليب وتقنيات محكمة لأهداف عدّة، منها حماية السكّان من مخاطر بعضها، أو لغرض استهلاكها، أو استغلالها في حلبات المصارعة قصد الاستعراض والترفيه.

الكلمات المفتاحية: الصيد؛ البري؛ الرومان؛ الفريسة؛ الأثار؛ النقائش؛ الفسيفساء.

Abstract:

* المؤلف المراسل

The craft and professional activities of Roman societies varied between the demands of life and the mode of stability, to meet the basic needs of families and society on the one hand, and the development, prosperity and power of the state. on the other hand. Wild hunting played a central role in this matter, due to the availability of the natural environment on the topographic and hydrographic qualifications which allowed the formation of a diversified vegetation cover, which attracted various types of wild animals, which have been hunted with specific methods and techniques for various purposes, including the protection of the population against the dangers of some of them, or with the aim of consuming, or exploiting them in amphitheater arenas for combat and entertainment purposes.

***key words**:* hunt; wild; Romans; prey; Archaeology; engraving; mosaic

مقدّمة:

يُعدّ الصيد البرّي بمثابة حرفة سمحت لمختلف التجمعات والمجتمعات البشرية بضمان قوّة الاستقرار، وتحقيق قدر متفاوت من الرقي والرخاء تماشيا وما توفره المنطقة من فرص ومثلهما مثل بقية النشاطات والحرف، فقد عرفت سيرورة تطورٍ آلت إلى تعدد المنتوجات قامت على توفر المادّة الأولية وتنويع الوسائل والتقنيات تبعًا لها، منها ما لا يزال يُستعمل إلى اليوم الحالي. ارتئينا التعمّق في هذا الموضوع مبدئيا، كونه يقترح آفاقا بحثيّة مختلفة خلال الفترة القديمة والتي تستدعي الاهتمام، بحيث يمكن من خلال الصيد التعمّق والتقرّب من معرفة التركيبة الاجتماعية من خلال الأنشطة اليومية ومصف الحرفيين في المجتمع تبعًا للوظيفة.

في هذا الصدد، تمّ تجسيد مختلف أنواع الصيد على العديد من المنتوجات الحرفية الفنيّة، على غرار النقائش واللوحات الفسيفسائية والتي تحمل تفاصيل ثمينة يمكن توظيفها، وطرح إشكاليات تسمح بفهم مكانة حرفة معقّدة تتطلّب قدرًا هامًا من الإتقان والتناسق. من جهة ثانية، نجد على المخلفات وأساسا الفسيفساء والنقائش، ترجمة صورية توافينا بتفاصيل اللّباس، الحركية ومراحل التظاهرات الترفيهية بما فيها الجانب

المالي التي تُعدّ بمثابة رسائل رمزية مختصرة تسمح بتحديد مختلف الأدوار والمصفات الاجتماعية والتي من ثمة، توافينا بتفاصيل أدق حول التركيبة الاجتماعية لموقع معيّن. وفي هذا الصدد سوف نتناول تطوّر مكانة الصيد في المجتمع الروماني، إضافة الى مختلف أنواع الصيد البرّي التي كانت تمارس آنذاك استنادا على المصادر الأدبية القديمة والاثرية.

المبحث الأول: الصيد البرّي في الذهنية الرومانية:

.....

تحتضن شبه الجزيرة الإيطالية ثروة حيوانية متنوّعة، استغلها سكّان مختلف المناطق الإيطالية بما في ذلك الجزيرتين سردينيا وصقلية على غرار الأيائل، الظبي، الأروية، الظبي الصخري، الدببة، الذئاب أو الخنازير البرية وغيرهم[1] ويعود ذلك إلى تعدّد الغابات التي تشكّل محيطا طبيعيا لها. من جهة ثانية، فإن اعتمدنا على حادثة نابعة من أسطورة ريموس ورروميليس، قد نحتمل أن طبيعة الرومان كانت تميل إلى الصيد البري بصفة عفوية خاصّة أنّ الأسطورة تخص مؤسسي مدينة روما. يقول تيتوس ليفيوس أنّه: "حين بلوغهما سن المراهقة، تخليا عن خمول الحياة المستقرّة وحراسة المواشي. أدّى بهما الصيد إلى بلوغ الغابات المحيطة، لكن بعد أن استمدّا القوة والشجاعة من ذلك التعب، لم يعودا يقتصران على صيد الوحوش الشرسة بل أصبحا يهاجمان اللصوص المحملين بالغنائم ويقسمان غنائمهما ما بين الرعاة؛ يشاركهما في مخاطرهما وألعابهما حشد من الرعاة الصغار والمتزايد يوميا"[2].

المطلب الأول: الصيد البرّي خلال الفترتين الملكية والجمهورية:

يأتي هوراتيوس مصرحا مع نهاية القرن الأول ق.م بأن "للصيد مكانة مرموقة لدى الرومان منذ الأزل"[3]، لكن يرى أيمار أن الصيد البري بالمعنى الواسع لم يكن راسخا في ثقافة الرومان والإيطاليين ككل بل نشأ تدريجيا مع تطور نمط العيش عند الرومان ومرورهم من مرحلة الرعي والنهب إلى تلك التي ظهرت فيها فئة الجنود المزارعين أين تم الربط تدريجيا

ما بين فكرة جهد التداريب والإنتصارات العسكرية من جهة وجهد الصيد من جهة ثانية؛ تلتها، تبعا للباحث، مرحلة ركود قبل نهضة القرن الثاني ق.م مع نشأة فئة الملاّك الكبار. لم يتجاهل الباحث كذلك دور التأثير الإتروسكي منذ نشأة روما، مدعما رأيه بنص لتيتوس ليفيوس، أين يرد بأن الرومان في شبابهم، اعتادوا على تلقّي تربية إتروسكية مثلما سيعتادون بعد قرون على تلقّي أسس التربية الإغريقية[4]، مضيفا كذلك احتمال تأثير الأوسك، الإيكواس وحتى الإغريق المستقرين بمنطقة كمبانيا أو الغاليين[5].

فيما يتعلق بالمصادر، فأقدمها التي أشارت إلى أو وصفت بصفة أو بأخرى حملات الصيد البرّي نجدها في تلك التي تعود إلى القرن الثالث ق.م. هو عموما القرن الذي نشأ فيه الأدب اللاتيني والمصادر التي وصلتنا اليوم، من خلال إينيوس مثلا الذي يذكر كلب الصيد خلال حملة قائلا أنه: "يستشعر بمناخره، يغمز بصوته ويعوي بحدّة"[6] أو تيرنتيوس أين يرد بأن لأغلبية الشبان هواية، إما تربية الأحصنة، كلاب الصيد أو الفلسفة[7]. يقترح الروائي كذلك في مقدمّة مسرحية فوميو مشهد رجل في هذيان يرى امرأة في هيئة ظبية تطاردها الكلاب وهي باكية تترجى الإنقاذ[8].

عرف الصيد البرّي ترسخا تدريجيا نبع عن التأثير الهيلينستي جرّاء الاحتكاك بالإغريق المستقرّين بإيطاليا أو من خلال الأسفار لأغراض تجارية ومن ثمّة، إعجاب الطبقات الراقية بمقوّماتها الحضارية[9]، مما آل بـ ج. ك. أندرسون إلى اعتبار أن تلك الشريحة من المجتمع استمدّت إتقانها لفن الصيد من الملوك الهيلينستيين[10]. نجد لدى بوتارك ما يثبت استيعاب الرومان الأرستوقراطيين مقومّات التربية والثقافة الإغريقية، حين يخبرنا في شأن باولوس أيميليوس، أب أيميليوس سكيبيو، بأنّه اعتاد على إحاطة أبنائه، ليس فقط النحويون grammairiens والسفاسطة ومدرسي البلاغة وإنما كذلك بالنحاتين والرسامين ومدربي الخيول والكلاب وحرفيي الصيد، جميعهم يونانيون[11]؛ يعترف من جهته كيكرو في مؤلفه، عن الشيخوخة، بلذة الصيد حين يعتزل الفرد في الأرياف معتبرا

أنه إلى جانب المشاغل التي يتفرّغ إليها هناك، يأتي الصيد: ليوفّر آخر قطع ذلك الطاقم الذي لا يليق إلا بالملوك[12]؛ هذا ولا يمكن تجاهل المؤلفين الذين احتقروا الصيد، على غرار سالوستيوس الذي وصفه والزراعة بالانشغالات الذليلة[13]، في حين أدرجه تاكيتوس ضمن اهتمامات البرابرة[14]. ينتمي كل من المؤلّفين إلى بداية الفترة الإمبراطورية بالنسبة إلى الأول و بداية عهد الأنطونينيين بالنسبة إلى الثاني، ممّا يحيلنا إلى احتمال أنه أيا كانت ميولات العائلات الأرستوقراطية إلى الصيد البرّي تحت وطأة الإعجاب أو رغبة في التباهي، فيبقى دخيلا على قيم الثقافة الرومانية إن لم يكن له مغزى يعود بالمنفعة وليس للترفيه.

المطلب الثاني: الصيد في حياة الأباطرة

حسب هوراتيوس، في قصيدة غنائية موجهة إلى صديقه لوليوس، فالصيد " يجلب الشهرة و يسمح بإبراز القوّة والصحّة لما يتعلّق الأمر، مثلما هو الحال بالنسبة إليك لوليوس، بمنافسة الكلب الذئبي في سرعته و الخنزير البري في طاقته"[15]. نستوحي من تعريف هوراتيوس علاقة الصيد بإحدى مقوّمات الشخصية الرومانية وهي القوة الجسدية في علاقتها بالرجولة والتي تمنح صاحبها هيبة تساهم بدورها في منح الفرد مصفا محترما ضمن المجتمع إلى جانب محددات أخرى كالمصف. يعزز ذلك بلينوس الأصغر حين يسخر من الأباطرة الذين "يسجنون الحيوانات المفترسة وبعد أن فقدت قسطا من شراستها، تجدهم يستقون فخرا من مهارة كاذبة[16]. يضيف كيكرو أن غرض اصطياد الحيوانات المفترسة هو إما الإستهلاك، التمرّن الذي هو صورة للحرب، استئناس الحيوانات لأغراض عملية أو سحرية طبيّة[17]. في ذات السياق، فقد تعددت الشهادات في المصادر التاريخية حول دور الصيد في تشكيل شخصية الأباطرة ومدى أهميتها في تقييم حنكة الحاكم المستقبلية. نذكر منهم شهادة الإمبراطور أغسطس الذي لم ير حرجا في تخصيص فقرة لذلك في مذكراته: "أهديت بإسمي وبإسم أبنائي وأحفادي، ست

وعشرين مرّة، استعراضات صيد برّي بحيوانات مستوردة من إفريقيا وذلك إما في السرك، الفوروم أو المسرح المدرّج والتي هلكت خلالها 3500 دابة"[18]. نعلم كذلك أن الأنطونينيين عُرفوا جملة بشغفهم بالصيد وعلى رأسهم الإمبراطور هادريانوس الذي خصّص له ب. لورو دراسة تقوم على علاقة الصيد البرّي بصورة الإمبراطور المثالي خلال حكم هادريانوس بالتحديد[19]. في هذا الصدد، يرد في حياة هادريانوس: " بالغ في متعة الصيد البري وعوتب على ذلك" " قتل ذات يوم ليثا بيده ممّا تسبّب في كسرٍ في الترقوة واليد" " شيّد منشآت وأقام ألعابا في أغلبية مدن الإمبراطورية. أقام بآثينا استعراض صيد بري احتضن ألف حيوان مفترس"[20]. لعلّ ما يعزز ما سبق يتمثّل في الميداليات الثمانية المنحوتة على قوس قسطنطينوس، بحيث تحتضن كل وحدة منها حملة صيد أقامها الإمبراطور (الصورة رقم 01).

أما عن ترايانوس، فإعجاب بلينوس الأصغر واضح: " بعد تدبير أمورك اليومية، تسترخي بتغيير الوظيفة؛ الصيد عبر الغابات الأكثر كثافة، الرمي بها وملاحقة الحيوانات المفترسة ما بين الصخور إلى حدّ قمم الجبال الأشدّ انحدارا والتي تتسلقها بخفة ودون مساعدة...كان ذلك سالفا بمثابة التمرين الأول والأطيب للشباب"[21]، في حين نلتمس لدى المؤرخ سويتونيوس حيرة أمام البراعة الحركية ودقّة نظر الإمبراطور دوميتيانوس ونفوره في ذات الوقت من الجهد عامّة: "عاجز تماما على تحمل أدنى قسط من التعب، لن تراه يتنزه راجلا في المدينة...غير مبالٍ بالتدريب العسكري، كان يميل إلى السهام وقد رآه الكثيرين يضفر بمئات الحيوانات من مختلف الأنواع ويزرع في رأسها سهمين يذكران بالقرون"[22]. يبدو واضحا مما سبق أن الدور الذي يؤديه الصيد البري في الذهنية الرومانية وثيق الصلة بهيكلة الشخصية التي ستشكل مواطنا يخدم المصلحة العامّة من خلال قدرته وخاصة استعداده على مواجهة شتى أنواع المشقات والتي تعزز فيه القناعة بالرجولة والهيبة.

المبحث الثاني: الصيد في حياة الرومان اليومية

.....

يلجأ الرومان للتعبير عن الصيد البري عموما إلى مصطلح فيناتيو (Venatio/*Venationes*) الذي يلم بكل أنواع الصيد البري تماشيا والهدف[23]. إن استشهدنا بالمصادر، يبدو أنها تنحصر في مرحلة أولى من تاريخ روما وإيطاليا عامّة في الصيد لحماية سكّان المدن وإقليمها وكذا المسالك، من الحيوانات المفترسة، ليظهر بعدها ويتطوّر تدريجيا الصيد الخاص قصد الترفيه أو التجارة من خلال حضائر الصيد الأرستوقراطي (والتي نجدها وثيقة الصلة بالصيد الاستعراضي)، الصيد الإمبراطوري الذي انشغل به الأباطرة في حدود ملكياتهم والصيد البري الاستعراضي لأغراض ترفيهية، تلتقي فيها الأولويات الاجتماعية والسياسية على وجه الخصوص.

المطلب الأول: حماية السكان والمسالك

لجأ الرعاة والمزارعون خاصة إلى الصيد لمنع الحيوانات المفترسة من أن تلحق ضررا بحياتهم أو بحياة ماشيتهم. يروي لنا تيتوس ليفيوس أنه "قبل سفر القناصلة، تمّت إقامة مراسيم لمدّة تسع أيام حيث ...بمدينة كابوا، عبر ذئب إحدى الأبواب وقتل حارسا[24].أما هوراتيوس، فينصح الرومان بمغادرة روما مثلما فعل الفوكيون نحو أراض لا يعدو الدب الدموي فيها نحو البيوت[25].

المطلب الثاني: حضائر الصيد

هي فضاءات مسورة استقبلت مختلف أنواع الحيوانات وبالتحديد الأليفة منها. تظهر تلك الحضائر في المصادر ابتداء من القرن الثاني ق.م من خلال فارو وبلينوس. يصفها لنا بعد ذلك كولوميلا خلال السنوات الأولى من الإمبراطورية وبعده أولو جيلي خلال القرن الثاني ميلادي. إن فكرة حضائر الصيد الواسعة والمزودة بمختلف أنواع الحيوانات مستوحاة من الحضائر الهيلينستية وبالتحديد تلك التي تعرّف عليها باولوس أيميلوس جراء معركته وانتصاره على الملك برسيوس المقدوني والتي احتضنت ثروة حيوانية هائلة أبهرت

أنظاره؛ شجع بعدها ابنه على اعتناق تلك الهواية مسخرا له كل الإمكانيات اللازمة للخوض فيها[26]. عرفت الحضائر الحيوانية بروما وبقية المناطق الإيطالية تطورا تدريجيا سواء تعلق الأمر بالثروة الحيوانية أو الحجم حيث تلك التي عرفها الرومان كانت بسيطة ومهيّأة لأغراض عملية لا أكثر. يصفها لنا فارو على أنها: "الحضائر المحاذية لملكياتنا والتي لا تزال تسمى ليبوراريا (*Leporaria*) وفقا لتسميتها القديمة ولم تعد اليوم تتسع على مساحة خمسين أو مئة متر، بحيث تحتضن بعض الأرانب البرية وإنما على مساحات شاسعة، بل غابات كاملة، أين تُسجن الأرانب البرية و الأيائل في أحشاد"[27]. أمّا لدى كولوميلا أي مع بداية العصر الإمبراطوري، تظهر تسمية فيفاريا (*Vivaria*) التي يصفها لنا المؤلّف بنفس الصفة قائلا: "كان من المعتاد تشييد فيفاريا للأرانب والغزلان وحيوانات أخرى من نفس النوع، على قرابة من الملكية الزراعية وغالبًا، محاذية لبيت صاحب الملكية"[28]. يثبت بعدهما أولوس جيلي في القرن الثاني ميلادي، استمرار تسمية فيفاريا: "تسمى الحضائر التي يتم فيها إطعام الحيوانات البرية بـ فيفاريا". أما فارو، فيسمي تلك الحضائر بـ ليبوراريا، مضيفا أن سكيبيو أطلق عليها تسمية روبواريوم[29].

نفهم من شهادة فارو أن الحيوان الوحيد الذي احتضنته الحضائر في بداياتها كانت الأرانب البرية وهو ما يثبته مصطلح "ليبوس" الذي يعني الأرنب البرّي والذي شُكلت منه كلمة ليبوراريا، كما كانت ذات مساحة ضئيلة، قبل أن تشهد تطورا من حيث المساحة لتتخذ حجم الغابات احتضنت فيها حيوانات ازدادت تنوعا ومن ضمنها العنزة البرية والأيائل . يفيدنا فارو بأن حضيرة ك. فولفيوس لوبينوس، بضواحي تاركينيا، اتسعت على مساحة 40 أربنت (أي 10 هكتارات) كما احتضنت، إلى جانب الحيوانات التي ذكرناها، كذلك الكباش؛ يضيف بعدها أن الخنزير كذلك من طرائد الحضائر وأن تيتوس بومبيوس، يملك حضيرة في بلاد الغال، خصص فيها فضاء للحلزون، النحل والنوموس[30]. يصف لنا بعده كولوميلا رصيدا حيوانيا أوسع: "تضيف الوحوش البرية مثل

اليحمور، الأيل، المها، الغزلان البرية والخنازير البرية إلى روعة ومتعة السيد أكثر مما تضيف إلى المنتوجات والدخل"[31] .

أما عن حضيرة هورتنسيوس، فقدرت ب 50 أربنت (أي 12 هكتارا) بمختلف أنواع الحيوانات. يضيف فارو أن تلك الحضائر احتضنت فضاءات للطيور والتي سميت باللأورنيتوناس (*ornithones*) وكذا للأسماك التي سميت بالبيسكيناي (*piscinae*)؛ كلها بمثابة حضائر صيد "[32]؛ هي مصدر ربح لا يستهان به نظرا لتنوع المنتوجات التي تباع في الأسواق والتي تزيد من ثروة ملاكها لكن شكلت تلك الحضائر كذلك مستودعا يتم اللجوء إليه لتعبئة المسارح المدرجة خلال تظاهرات الصيد الإستعراضي، مما يمنحها دورا أساسيا في التجارة المحلية ويحيلنا نحن إلى اعتبار جانب يبتعد عن البعد الترفيهي البحت ليقترب إلى طبيعة الرومان في طابعها العملي، حيث باتت تلك الحضائر شبيهة بالشركات التجارية إن صح التعبير.

المطلب الثالث: الصيد الإستعراضي:

يعد الصيد الإستعراضي أكثر أنواع الصيد شهرة نظرا لطابعه الترفيهي والذي يجمع ما بين تأليف الحيوانات، استعراض النادرة منها وحتى إعدام المساجين باللجوء إليها [33] (*Damnati ad bestias*) فضلا عن تصارع المصارعين (*Venatores*) والحيوانات (*Bestiarii*)(الصورة رقم02). بالرغم مما سبق ذكره حول مكانة الصيد في تشكيل الشخصية الرومانية، يشكل بروز الصيد البري الإستعراضي خطوة هامة في تاريخ الحضارة الرومانية وحتى مصيرها إن اعتبرنا دوره في ضمان السلم الإجتماعي، في شعبية الإمبراطور وكذا في المسار الشرفي للأعيان.

إن استندنا إلى قراءة ج. ك. أندرسون، الذي يحيل ظروف نشأة هذا النوع من التظاهرات إلى واقع عسكري من جهة واقتصادي من جهة ثانية، نجد أن كلاهما وثيق الصلة بتوسع روما ابتداء من القرن الثالث ق.م، حيث آل انهزام حنبعل خلال الحرب

البونية الثانية وكذا المملكة المقدونية بعدها خلال معركة بيدنا في عام 169 ق.م إلى ترسيخ سلطة روما واستقطاب المحليين نحو العاصمة بحثا عن مصير أفضل لم يلقوه، تماشيا وترسخ الثقافة الهيلينستية التي سخرت مكانة مميزة للصيد. التقى بذلك ميول الرومان إلى الثقافة الهيلينستية بأولوية تخفيف الضغط النفسي على سكان العاصمة باللجوء إلى استثمار قسط من الثروة المكتسبة خلال الحملات في تنظيم الألعاب[34]. يحتمل من جهته ج. فيل أن الصيد الإستعراضي بروما مستوحى من ألعاب مصارعة الثيران التي تختتم بمقتل الثور[35]. نجد بالفعل في المصادر إشارات إلى ذلك ولا سيما لدى بلينوس الأقدم حين يصرح: "حين وصول الخبر من اسبانيا، تم الإحتفال بالألعاب الثورية لأغراض دينية ولمدة يومين"[36]. ما يهمنا في عبارة بلينوس هو تعود الرومان على اصطياد الحيوانات لتكريم الآلهة ومن ثمة، فعلاقة الدين بالصيد قد أدت دورها كذلك في ابتكار وترسخ الصيد البري الإستعراضي بصرف النظر عن التأثيرات الإغريقية واللأولويات السياسية. نضيف في ذات السياق ما يرد لدى أوفيديوس فيما يتعلق بحفلة الفلورالیا أين يخاطب الإلهة فلورا سائلا إياها: "لما يتم القبض خلال ألعابكم على العنزة الخجولة والأرنب البري عوض اللبؤة؟ فأجابت قائلة أن الغابات ليست من نطاقها، فقط الحدائق والأرياف التي لا تظهر فيها ضيوف الغابات الشرسة"[37] . أما عن الكيريالیا، فتحتضن بدورها شقا خاصا بصيد الثعلب[38]. يرى أ. أيمار أن هذا النوع من الأضحيات الدينية التي تتم في إطار مقنن طقوسيا، كانت لها نكهة حملة صيد كما ينوه إلى العلاقة التي تربط مفهوم الطقس الدامي بمشهد فريسة الصيد[39]

ظهرت أولى تظاهرات الصيد الإستعراضي على الأرجح ما بين الحربين البونيتين الأولى والثانية مع احتمال أكبر بالنسبة ل أ. أيمار أن تم ذلك بعد الحرب البونية الثانية. في هذا الصدد، يفيدنا نص لبلينوس الأقدم أن أولى تظاهرة كانت من مبادرة لفولفيوس نوبيليور عام 186: "عندما وصل هذا الخبر من إسبانيا، تم الاحتفال بألعاب ثورية لأسباب

دينية، استمرت يومين. ثم استعرض م. فولفيوس الألعاب التي كرسها (للآلهة) خلال حرب إيتوليا لمدة عشرة أيام في تظاهرة بارعة. تنقل عدد وفير من الفنانين بهذه المناسبة من اليونان إلى روما، كما كانت تلك المرة الأولى التي استمتع فيها الرومان بمشهد قتال رياضي وبمطاردة الأسود والفهود. كان روعة وتنوع ذلك الحفل جديرين برفاهية العصر". يرد في النص ذاته أن سنة بعد م. فولفيوس نوبيليور، بادر لوكيوس سكيبيو بألعاب دامت بدورها عشرة أيام، وعد بتكريسها خلال حربه ضد أنتيوخوس، ملك السلجوقيين [40]. لا يمكن كذلك تجاهل ألعاب كنيوس بومبيوس التي أهداها في عام 55 خلال قنصليته الثانية في المسرح الأول المبني من مواد صلبة والذي يحمل إسمه. يقول كاسيوس ديو في شأن تلك التظاهرة: "كرّس بومبي المسرح الذي لا يزال محل فخر لنا إلى حد اليوم وقدم عرضًا موسيقيًا، ألعابا رياضية، قتال خيول ومطاردة معتبرة للحيوانات الشرسة من كل نوع، احتُفل بها في ميدان سباق الخيل. قُتل خلالها خمسمائة أسد في ضرف خمسة أيام كما قاتل ثمانية عشر فيلًا ضد رجال مدججين بالسلاح"[41] (الرسم رقم1)؛ وصف كيكرو تلك التظاهرة بالعظيمة لكن نعلم أن رأي كيكرو حول المضمون سلبية، حيث صرح بوضوح أنها تبذير للمال لصالح أقل شرائح المجتمع نبلا[42]. سواء أهديت تلك التظاهرات جراء انتصار، قبل انطلاق حملة حربية، إهداء للآلهة بعد تحقق أمنية ولاسيما الإنتصار أو لضمان انتخابات قادمة في إطار المسار الشرفي وبالرغم من شغف السكان بها، فكانت تلك اللعاب تتم في هياكل مؤقتة وذلك إلى غاية عام 29 ق.م، حين بادر ستاتيليوس تاوروس بتشييد مسرح مدرج من حجارة (*Amphitheatrum Statilii Taurii*) (الرسم رقم2).

تم في خطوة أولى تحويل الحيوانات أمام الجماهير[43] مثلما يرد لدى سينيكا: "كان كوريوس دنتاتوس أول من أظهر فيلة خلال حفلة انتصاره"[44]؛ تم بعدها مصارعة الحيوانات وفي عام 187 ق.م وبعدها، تنظيم أولى تظاهرة لإعدام المسجونين باللجوء

إلى الحيوانات الشرسة؛ أما عن أول معركة للمبارزين، فتمت عام 99 ق.م والتي لم يصلنا عنها إلا القليل من المعطيات[45].

خلال الفترة الإمبراطورية، نعلم من خلال سويتونيوس أن أغسطس كان حريصا على تشييد معالم جديدة وكذا مشجعا لأعيان المدينة على مشاركته، حيث يقول المؤرخ: "كثيرا ما كان يشجع الأعيان على تزيين روما، كلٌ حسب امكانياته، إما بتشييد معالم جديدة أو بالترميم. لذلك، تم بناء العديد منها من طرف الكثيرين، حيث آل ذلك إلى تشييد مارسيوس فيليبوس معبد هركليس آلهة الإلهام... ستاتيليوس توروس مدرجا ؛ أخيرًا ماركوس أغريبا، عددا كبيرا من المعالم الأثرية الأنيقة"[46].

أما كاليغولا، فيرد دوما لدى سويتونيوس أنه "شرع في تشييد قنطرة ومسرحا مدرجا قرب تيبور لكن بينما أتمم كلاويديوس الأول، باشر بتهديم الثاني"[47]. نجد في الأبحاث أنه دمر عدة أقواس من قنطرة الجنرال أغريبا لتشييد مسرح مدرج من خشب[48]، بينما فيما يتعلق بكلاوديوس، فيرصد لنا كاسيوس ديو أنه نظم تظاهرات من كل نوع وأنه " قتل 300 دب ونفس العدد من حيوانات إفريقية"[49]؛ أتى بعده نيرون الذي شيد مسرحا مدرجا، لكن لم يروي لنا سويتونيوس إلا قصة، نوى فيها الإمبراطور قتل أسد بيده مصحوبا بهراوة لكن لم يرد شيئ حول إتمام ذلك المشروع : "بعد مقارنته بأبولو في الغناء وبالشمس في فن قيادة العربة، أراد كذلك تقليد إنجازات هيراكلس، بل يقال أنه تم تجهيز الأسد ليقاتله عارياً في الساحة وليضربه بهراوته أو يخنقه بين ذراعيه أمام الحضور"[50].

يعد عهد الأنطونينيين بمثابة العصر الذهبي للصيد والذي دشنه الفلافيون قبلهم باختيار الإلهتين مينرفا وديانا بمثابة الإلهتين الحاميتين وذلك قبل أن تترك مينرفا المجال لديانا خلال عهد الأنطونين. يظهر اهتمامهم بالصيد من خلال تشييد الكوليزيوم بروما، بمبادرة من فسباسيانوس قبل أن يتممه إبنه تيتوس والذي مدحه مارتياليس بقناعة قد يجسدها ما يلي: " فلتتراجع عظمة كل المعالم أمام مسرح قيصر المدرج وإليه دون غيره، تعود أصوات

الشهرة المائة" مضيفا " أعيدت روما إلى نفسها وتحت حكمك يا قيصر، فالأماكن التي كان يستمتع بها الطغاة، باتت اليوم بهجة الشعب"[51] .استقبل الكوليزيوم شتى أنواع الحيوانات ولا سيما الفيلة، الدببة، الخنازير، فرس الماء لكن ما يجلب الإهتمام هو مصارعة امرأة لأسد والضفر به تحت إعجاب واعتراف مارتياليس حيث يقول: " لا يكفي قيصر أن يمنحك مارس قوته التي لا تُقهر، ها هي فينوس تبرز نفسها ببسالة" مضيفا " فلتصمت سذاجة الماضي لأنه في هذا المسرح، وبكرم منك يا قيصر، رأينا أمرا كهذا يتحقق على يد امرأة"[52]. يضيف سويتونيوس أنه: "بعد افتتاح المدرج وبناء الحمامات على الفور حول هذا المبنى ، قدم مشهدًا رائعًا وغنيًا، كما خاض معركة بحرية تتمثل في النوماكيا القديمة. أضاف مصارعين وخاض خمسة آلاف حيوان من كل الأنواع في نفس اليوم"[53].

يظهر اهتمام الأباطرة بالصيد كذلك من خلال الآلهة التي ترد على ظهر العملات النقدية وعلى رأسها مينرفا وديانا بالنسبة للفلافيين[54]. قد تؤدي تلك التمثيلات دورا إديولوجيا من خلال إحياء أصول روما و لاتينيتها بشتى السبل ولا سيما الصورة ومن ثمة، فهي تحمل رسالة قوية[55]. هنا تبرز وضيفة الألعاب خارج المسارح والتي تحرص بسلاسة على خدمة مكانة الأباطرة باللعب على وتر التاريخ والعظمة. نجد مثالا على ذلك من خلال عملات كل الأباطرة، لكن علاقتها بالصيد تبدو بارزة أكثر لدى هادريانوس، حيث يربط تمثيلات الصيد على ضهر ميدالياته بعبارة « *Virtuti augusti* »، كما نعلم أن في عهد قسطنطينوس، خصص لهادريانوس على قوس نصر الإمبراطور وإلى جانب أباطرة آخرون، ما يعرف بمداليات هادريانوس وهي ثمان تمثيلات إيكونوغرافية متتالية تجسد حملات صيد الإمبراطور وإهداءاته لكل من الآلهة سيلفا، هركليس، ديانا وأبولو، مما يعزز من جهة دور الصيد في تشكيل صمعة إيجابية التي تستحق أن تجسد على معالم لاحقة ومن جهة ثانية، مفهوم اللعب على وتر الأخلاق لتكريس تلك

العظمة. يرى من جهته أ. أيمار أن الفكرة ترمي إلى ربط براعة الصيد ببراعة الجندي التي أشرنا إليها سابقا[56].بذلك، تُعد أكثر الشخصيات شغفا بالصيد تتجسد في شخصية هادريانوس التي منحت شهرة له أكثر من غيره في أسرة الأنطونينيين[57] والذي تروي المصادر في شأنه أنه "بعد قتله لدب، شيد مدينة في ذات الموقع الذي تمت فيه تلك الحملة السعيدة والتي سماها أدريانوثيرا"[58]، كما "شيد معالم ونظم ألعابا في تقريبا كل مدن الإمبراطورية. في آثينا، أقام تظاهرة صيد استعراضي في الملعب احتضن ألف حيوان مفترس ولم ينف من روما أي مساعد في الصيد[59].

اهتم أنطونينوس بيوس بدوره بإقامة تظاهرات صيد استعراضي ومن ضمنها تلك التي رصدها لنا يوليوس كابيتولينوس حيث يقول: "قدم استعراضا رأينا فيه فيلة، حيوانا من إيثوبيا، الكودو، تماسيح، فرسان النهر، نمور وأنواع لا متناهية من جميع أنحاء العالم. كما أطلق العنان لمائة أسد مرة واحدة"[60](الصورة رقم03).

نرى مما سبق أن الحيوانات التي لجأ إليها الأباطرة والتي تعبر حتما عن ذوق الجماهير، تمثلت في الفيلة، الفهود، الأسود، فرسان النهر وغيرها من الكائنات الغريبة بالنسبة للرومان لأنها غير مألوفة، مما يثبت ديناميكية التبادلات التجارية سواء تعلق الأمر كما سبق الذكر بالحيوانات المتوفرة في حضائر الأعيان والملاك الكبار من ظبي، خنازير برية وإيلة أو خارجية على غرار الأسد الذي كان يؤتى به من مناطق عدة ولاسيما من إفريقيا وآسيا.

خاتمة:

يندرج الصيد البري ضمن النشاطات المتداولة في العالم القديم ولا سيما لدى الإغريق والرومان، فإن برع الرومان في الصيد الترفيهي واكتسبوا شهرة منه، يبدو أنه لم يجد الصيد مكانة واضحة في حياة الرومان خلال القرون الأولى بعد نشأة روما إن استثنينا الحاجة الدفاعية أي حماية المدن والأرياف من المخاطر التي تفرضها الحيوانات المفترسة، ليعرف

بعدها نهضة جعلت منه عاملا هاما في تشكيل شخصية المجتمع هيكلا ومضمونا. تطرقت المصادر بشتى أنواعها سواء إغريقية أو رومانية، من جهة إلى مكانة الصيد في كلا المجتمعين، إلى الخلفية الفلسفية له بالنسبة للفرد والمدينة من جوانب عدة، لكل منها تشعباتها وتعقيداتها.

ارتئينا تكريس هذا المقال إلى كل ما أفادتنا به المصادر الأدبية، التاريخية والميثولوجيا من معطيات نعتبرها أساسية كتمهيد وذلك لأنها توضح لنا محددات ومتغيرات حرفتي الصيد البري تبعا للحقب التاريخية و لسيرورة تطورهما تبعا لتغير الأوضاع أو للأولويات سواء تعلق الأمر بالجانب السياسي، التجاري، الترفيهي، الاجتماعي كما ركزنا على جانب نراه من أهم المحددات التي منحت الصيد البري بالتحديد شهرة وديمومة وهو ذلك الذي يتعلق بدوره الحضاري في المنظور الروماني كأحد شروط الرجولة، الهيبة والشجاعة فضلا عن البراغماتية، مما آل بنا.

ملحق الأشكال والصور:

الصورة رقم01: ميداليات الإمبراطور هادريانوس على قوس قسطنطينوس. عن:
Tuck, 2015, p.235. Source : D 6 ft 6 in (1.98 m). Photo courtesy Steven L. Tuck

الصورة رقم 02: فسيفساء ماغيريوس بمدينة سميرات تمثل أربع مصارعين، أربع فهود وموظف حامل أربعة أكياس في كل منها 1000 دينارِيوس لكل مصارع، فضلا عن نقيشة تصف المشهد والتي تحتضن إسم جمعي التيليغيني. عن:

Beschaouch, 2006, p.1402. Fig.1

(الرسم رقم1): إعادة تشكيل المسرح المدرج المشيد من طرف ستاتيليوس تاوروس. 1663

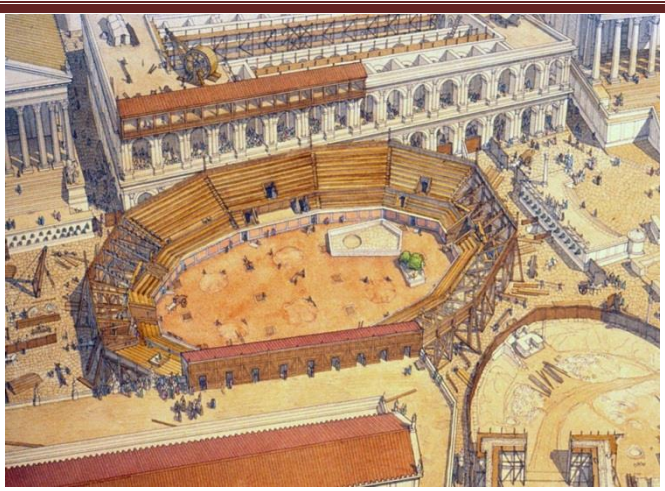

الرسم رقم 2 : إعادة تشكيل للمسرح المدرج خلال فترة يوليوس قيصر. ج.ج. جولفان /https://jeanclaudegolvin.com/rome

الرسم رقم 3 : إعادة تشكيل للمسرح المدرج خلال فترة دوميتيانوس. ج.ج. جولفان /https://jeanclaudegolvin.com/rome

(A)

(B)

الصورة رقم03: ميداليات هادرياتوس تحمل مشهد صيد على الضهر ومشهد الإمبراطور مصحوبا بعبارة «*Virtute augusti* »على الوجه. 130-138 م. عن:

reserved. (b) British Museum. All rights Tuck, 2015, 235. Souce : (A) The Trustees of the Geschichte, fur Kunst, Kultur und Florence/BPK, Bildagentur Source: Photo Scala, Berlin.

الهوامش:

[1] Aymard, 1951, p.9.

[2] Tite Live, *Histoire romaine*, IV, p.34.

[3] Horace, *Epitres*, II, 18.

[4] Tite Live, *Hist.Rom.,* IX, 36, 3 In Aymard, 1951, p.30.

[5] Aymard, 1951, pp.30- 31 et 32.

[6] ex nare sagaci sensit, voce sua nictit ululatque ibi acute. Ennius, 339-41 In Warmington, 1935, Vol. I, p.124.

[7] Quod plerique omnes faciunt adulescentuli, ut animum ad aliquod studium adiungant, aut equos . alere, aut canes ad venandum, aut ad philosophos. *Térence*, Andria, I.

[8] quia nusquam insanum scripsit adulescentulum cervam videre fugere et sectari canes,et eam plorare, orare ut subveniat sibi. Térence, *Phormio*, Prologue.

[9] Aymard, 1951, p.53.

[10] Anderson, 1985, p.83.

[11] Plutarque, *Vie de Paul Emile*, V.

[12] Cicéron, De la vieillesse, XVI.

[13]Salluste, *Conjuration de Catilina*, IV.

[14] Tacite, *Annales*, II, 56.

[15] Horace, *Epitres*, II, 18.

[16] Pline le jeune, *Panégyrique de Trajan*, LXXXI.

[17] Cicéron, *De natura deorum*, II, 64.

[18] Augustus, *Res divi augusti*, XXII.

[19] Leroux, 2011, paragr.5.

[20] Histoire Auguste, *Hadrien*, II, 1 ; XXIV, 24 ; XXVIII, 2.

[21] Pline le jeune, *Panégyrique de Trajan*, LXXXI.

[22] Sénèque, *Vie de Domitien*, XIX.

[23]Ville, 1981, p.51.

[24] Tite Live, HR, XXXVII, 3.

[25] Horace, Epodes, XVI, p.196.

[26] Aymard, 1951, p.54-55.

[27]C'est-à-dire à ces parcs annexés de nos villas, qu'on appelle encore *leporaria,* d'après leur ancienne destination spéciale. Aujourd'hui il ne s'agit plus d'un arpent ou deux, où l'on réunit quelques lièvres, mais de vastes espaces, de forêts entières, où l'on renferme par bandes les cerfs et les chevreuils. Varron, De re rustica, III, 12.

[28] siquidem mos antiquus lepusculis capreisque, ac subus feris iuxta villam plerumque subiecta dominicis habitationibus ponebat *vivaria*. Columelle, *De l'économie rurale*, IX, 1.

[29] Aulu Gelle, *Nuits attiques*, II, 20.

[30]Varron, De re rustica, XII et XIII.

[31] Columelle, De l'économie rurale, IX, 1,1.

[32] Varron, III, 3 et 13 ; Columelle, IX, Avant-propos, 1.

[33] Ville, 1981, p.51.

[34] J.K. Anderson, 1985, pp.83-84.

[35] Ville, 1981, p.54.

[36] Tite Live, XXXIX, 22, 1.

[37] Ovide, Fastes, V, p.629.

[38] Ovide, Fastes, IV, p.615.

[39] Aymard, 1951, p.77.

[40] Tite Live, *His. Rom.*, XXXIX, 22, 1.

[41]Tite live, Histoire romaine, XXXIX, 38.

[42] Cicéron, Des devoirs, II, 16.

[43] Aymard, 1951, p.53.

[44] Sénèque, De la brièveté de la vie, XIII, 6.

[45] Aymard, 1951, p.53.

[46] Suétone, Vie d'Auguste, XXIX, 7-8.

[47] Suétone, Vie de Caligula, 21.

[48] Ampère, 1856, p.842.

[49] Dion Cassius, *His. Roma.*, XL, 7.

[50] Suétone, Vie de Néron, 53.

[51] Martial, Spectacles, I-II.

[52] Martial, Spec., VI-VII.

[53] Suétone, Vie de Titus, VII.

[54] Aymard, 1951, p.156-157.

[55] Nony, 1982, p.894.

نجد نفس الفكرة لدى س.ل. توك الذي يشير إلى وجود نفس الميول لدى الأشوريين والمصريين. يُراجع:
Tuck, 2015, p.233.

[56] Aymard, 1951, pp.479-480 et 523-536.

[57] Leroux, 2011.

[58] Histoire auguste, Vie d'Hadrien, II,1.

[59] Hist. Aug., Vie d'Hadrien II, 28, 2.

[60] Capitolinus, Hist. Aug auguste, X.

قائمة المراجع والمصادر:

- *Anderson, J.K., Hunting in ancient world. University of California Press.1985.*
- *Aulu Gelle, Nuits attiques (D. Nisard trad.). Dubrochet et Cie éditeurs.*
- Aymard, A., *Essai sur les chasses romaines, des origines à la fin du siècle des Antonins (cynegetica).* E. de Boccard, 1951.
- *Cicéron, De la nature des dieux (D. Nisard trad). Firmin Didot Frères, Fils et Cie. Libraires. 1869.*
- *Cicéron, De la vieillesse (D. Nisard trad.). Cicéron, De la nature des dieux (D. Nisard trad). Firmin Didot Frères, Fils et Cie. Libraires. 1869.*
- *Cicéron, De Officiis II (Charles APPUHN trad.). Garnier. 1933*
- *Columelle, De l'économie. De l'agriculture.Les agronomes latins Caton, Varron, Columelle, Palladius, publiés sous la direction de M. Nisard. Firmin-Didot, 1877.*
- *Histoire Auguste, Vie d'Hadrien II (Th. Baudement trad.). C.L.F.Panckouck. 1846.*
- *Histoire Auguste, Vie d'Hadrien II (Th. Baudement trad.). C.L.F.Panckouck. 1846.*
- Horace, *Épodes* (Horace, Séguier) (Comte Ulysse de Séguier trad.). Quantin.1883).

- Horace, *Épodes* (Horace, Séguier) (Comte Ulysse de Séguier trad.). Quantin.1883).
- *Iulius Capitolinus. Histoire auguste X (M. Valton trad.). C.L.F.Panckouck.1844.*
- *Martial, Spectales (V. Verger, N.A. Dubois et J.Mangeard trad.). Garnir frères éditions. 1864.*
- *Nony, D. Sur quelques monnaies impériales romaines. In: Mélanges de l'École française de Rome. Antiquité 94 (2), 893-909.*
- *Ovide, Fastes V (D.Nisard trad.). D. Nisard.1857.*
- *Pline Le Jeune. Panégéryque de Trajan (M. de Sassy trad.). Vve Barbou.1808.*
- *Plutarque, Vie de Paul Emile (A. Pierron trad.). Charpentier, libraire-Editeur, 1854.*
- *Salluste, Conjuration de Catilina (Ch. Du Rozoir trad.). Garnier Frères.1865.*
- *Sénèque le Jeune, De la brièveté de la vie (J-P Charpentier trad.).Garnier frères, libraire-éditeurs, 1860*
- *Sénèque le Jeune, De la brièveté de la vie (J-P Charpentier trad.).Garnier frères, libraire-éditeurs, 1860*
- *Suétone, Vie d'Auguste (Th. Baudement trad.). J-J. Dubrochet, Lechevalier et Cie.1845.*
- *Suétone, Vie de Caligula (Th. Baudement trad.). J-J. Dubrochet, Lechevalier et Cie.1845.*
- *Suétone, Vie de Néron (Th. Baudement trad.). J-J. Dubrochet, Lechevalier et Cie.1845.*
- *Suétone, Vie de Titus (Th. Baudement trad.). J-J. Dubrochet, Lechevalier et Cie.1845.*
- *Tacite. Annales (J. L. Burnouf trad.). L. Hachette et Cie.1859*
- *Tite Live, Histoire naturelle XXXIX (D.Nisard trad.). Firmin Didot.1864.*
- *Tite Live, Histoire naturelle XXXVII (D.Nisard trad.). Firmin Didot.1864.*
- Tite Live, *Histoire romaine* IV (D.Nisard trad.). Firmin Didot éditions. 1864
- *Tuck, S.L., A history of roman art. 1st ed.Wiley-Blackwell. 2015.*
- *Ville, G. , La gladiature en Occident des origines à la mort de Domitien. Rome. Ecole française de Rome. (Bibliothèque des Écoles françaises d'Athènes et de Rome, 245) 1981.*